

أضواء البيان

. @ 312 @

ومن قضائهن سبع سماوات في يومين . .

ومن وحيه في كل سماء أمرها . .

كل ذلك تفصيل لأمر لم يشهدها ولم يعلموا عنها بشيء ، ومن ضمنها قضاؤه سبع سماوات ، فكان كله على سبيل الإخبار لجماعة الكفار . .

وعقبه بقوله : { ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } فكان مقتضى هذا الإخبار وموجب هذا التقدير من العزيز العليم ، أن يصدقوا أو أن يؤمنوا . وهذا من خصائص كل إخبار يكون مقطوعاً بصدقه من كل من هو واثق بقوله : يقول الخبر ، وكان لقوة صدقه ملزم لسامعه ، ولا يبالي قائله بقبول السامع له أو إعراضه عنه . .

ولذا قال تعالى بعد ذلك مباشرة { فَإِنَّ أَعْرَضُوا } أي بعد إعلامهم بذلك كله ، فلا عليك منهم { فَقُلْ أَذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ }
وحيث إن [] خاطبهم هنا { أَلَمْ تَرَ وَآلَ كَافٍ } فكان هذا أمر لفرط صدق الإخبار به ، كالمشاهد المحسوس الملزم لهم ؟ .

وقد جاءت السنة وبينت تلك الكيفية أنها سبع طباق بين كل سماء ، والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وشمل كل سماء وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام . .

وقد يقال : إن الرؤية هنا في الكيفية حاصلة بالعين محسوسة ، ولكن في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج حيث عرج به ورأى السبع الطباق ، وكان يستأذن لكل سماء . ومشاهدة الواحد من الجنس كمشاهدة الجميع ، فكأننا شاهدناها كلنا لإيماننا بصدقه صلى الله عليه وسلم ، ولحقيقة معرفتهم إياه صلى الله عليه وسلم في الصدق من قبل .
والعلم عند [] تعالى . قوله تعالى : { وَاتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالًا }
وَوَلَدَهُ إِلَّا لَاحَظَ خَسَارًا } . ينص تعالى هنا أن قوم نوح اتبعوا من هذا وصفه مع أن المال يزيد الإنسان نفعا . وقد بين تعالى أن المال فعلاً قد يورث خسارة ، وهلاكاً كما في قوله تعالى : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ } أي بالطمع يكون إهلاكاً . قوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي أَلَا رَحْمَةً مِّنَ الْكَافِرِينَ دَيْتَارًا } إِنَّ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا لَاحَظَ فَاجِرًا كَفَّارًا } .